

# مقاربة تحليلية فرنسيّة -ألمانيّة - تونسية لظاهرة التطرّف

مشروع "برايد" PRIDE

(الحدّ من التطرّف من خلال الحوار والتبادل الثقافيّ)

Prevention of Radicalisation through Intercultural  
(Dialogue and Exchange)

إن الدعم الذي تقدّمه المفوضيّة الأوروبيّة لإنتاج هذا المنشور لا يعني في أيّ حال من الأحوال الموافقة على محتواه الذي يعكس وجهة نظر المؤلفين فحسب. ولا يمكن اعتبار اللجنة مسؤولة عن أيّ توظيف للمعلومات الواردة بهذا المنشور.

كانون الثاني/يناير 2019





## مشروع PRIDE

مشروع PRIDE يشرف عليه كلّ من نادي علي بلهوان الثقافي ومؤسسة **INFA** و **IKAB** بالتعاون مع **Bildungswerk e.V** بالتحالف مع **ALIFS** فرنسا **CAREP** (تونس) و **ufuq.de** (ألمانيا) وهي جملة هيكل خبيرة في مجال مجابهة التطرف. يتم تمويله في إطار برنامج "الشراكات الاستراتيجية" التابع للوكالة الوطنية الألمانية ضمن البرنامج الأوروبي Erasmus + Youth in Action. يهدف مشروع PRIDE إلى تشجيع مشاريع التبادل الشبابي كإطار وقائي ملائم ضد تطرف الشباب إلى تحسين جودة مشاريع التبادل الدولي لا سيما تلك الموجهة للشباب ذوي الحظوظ الأقل، إضافة إلى دعم مشاركة هؤلاء الشباب في المواطنة الفاعلة. لمزيد من المعلومات الرجاء زيارة موقع الواب : [www.erasmus-pride.org](http://www.erasmus-pride.org)

## المؤثفون



اليون نيانغ Alioune Niang هو مسؤول بيداغوجي في ufuq.de يشرف خصيصا على مشروع Protest Provokation Propaganda (باللغة العربية: "الاحتجاجات والاستفزاز والدعاية"). درس العلوم القانونية في جامعة الشيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop في داكار Dakar ودرس التاريخ والأدب الحديث في جامعة بريمن Brême.

الدكتور جوتس نورديبروش Götz Nordbruch باحث متخصص في العلوم الاجتماعية والإسلام. وهو أيضاً شريك مؤسس ومدير مشارك في جمعية ufuq.de. كان باحثاً في معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي في إيكس أون بروفانس Aix-en-Provence ومعهد جورج-إيكيرت - معهد ليبنيز - Leibniz - Georg-Eckert - لأبحاث الكتب المدرسية في Braunschweig



صلاح الدين بن فرج وهو أستاذ تعليم عال وباحث في قسم علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. وهو أيضاً مدرس ومشرّف في المدرسة العليا لقوات الأمن التابعة لوزارة الداخلية التونسية. وهو عضو في برنامج البحوث الفدرالي "الإرهاب" في مركز تونس للأبحاث والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (CERES) التابع لوزارة التعليم العالي.



سناء عبيراست Sana El Abbeir قاضية متحصّلة على شهادة من جامعة بوردو Bordeaux في تخصص العلوم الجنائية، وهي مدربة وباحثة في مواضيع العلمانية والخطاب بين الأديان والحدّ من التطرف، ضمن عقد الإدماج الجمهوري ل ALIFS تقوم بتنسيق قسم ALIFS للإدماج الذي يتمثل في الحدّ من التجاوزات الطائفية وهي تشارك كذلك في اجتماعات تطوير خطط الوقاية ضد التطرف مع وسطاء إقليميين.



## قائمة المحتويات

2	مقدمة
3	المحور 1: ماهو التطرف؟
3	1. تعريف مفهوم التطرف
4	2. المقاربات التوضيحية لظاهرة التطرف
5	3. مراحل التطرف
7	4. الفطيرة كعامل (ممكن) للتطرف
8	5. التطرف الديني المرتبط بالإسلام: مثال السلفية
10	المحور 2: التطرف ، بين الظاهرة العالمية والاستجابات المحلية. تجارب ألمانيا وتونس وفرنسا
10	1. التطرف الديني في ألمانيا
12	2. التطرف في تونس
14	3. التطرف في فرنسا
16	المحور 3: التوعية والكشف
16	1. العلامات خارجية
17	2. المواقف
18	3. السلوك
19	المحور 4: مواضيع الخطابات المتطرفة وأساليب الردّ عليها
19	1. النصوص الدينية كمرجع مطلق
20	2. هوية الشباب المتأثري من الهجرة وانتماؤه محلّ تساؤل
21	3. مواجهة عموض الديمقراطية والمجتمع التعددي
22	4. اقتراح قراءة مبسطة: نظرية المؤامرة
22	5. مسألة الأجناس
23	6. ازدواجية الأخلاق الجيوسياسية
24	مسرد المصطلحات: اعتماد مصطلحات مشتركة
26	قائمة المراجع



## مقدمة

تقف بلدان شمال البحر الأبيض المتوسط وجنوبه أمام ظاهرة التطرف لتواجه التحدي نفسه. ففي جلسات النقاش، غالباً ما يتلازم هذا المفهوم مع الشباب الذين تعود أصولهم لمختلف أصقاع العالم والذين انضموا في السنوات الأخيرة للجماعات المتطرفة في سوريا والعراق من أجل الجهاد. تعد كل من ألمانيا وتونس وفرنسا من بين الدول التي شهدت مغادرة العديد من الشباب للذهاب إلى مناطق القتال (ICCT2006، Bremer 2017) فالهجمات الأخيرة التي وقعت في أوروبا وكذلك في شمال أفريقيا إضافة لأعمال العنف التي ترتكبها بعض الجماعات الجهادية في سوريا والعراق، جعلت من مفهوم التطرف يتخذ منحى دينياً، حتى لا نقول أن هذا المفهوم يكاد يقتصر على السياق الإسلامي فحسب.

إنّ التطرف ليس ظاهرة جديدة. ولا تقتصر أشكاله على الناحية الدينية فحسب. فقد أظهرت الدراسات العلمية الحديثة أنّ هذه الظاهرة تتشابه مع احتجاجات وحركات مقاومة سبق أن اندلعت للدفاع عن الإيديولوجيات المتطرفة الداعية للعنف (Ebner 2017). نذكر على سبيل المثال، ارتفاع نسب العنف التي تسبب في حدوثها أقصى اليمين في كل من فرنسا وألمانيا في السنوات الأخيرة، (جونسون 2018) وهو الأمر الذي لم تعرفه البلاد التونسية بنفس الشكل إضافة إلى مختلف أشكال التفكير المتكسب واعتماد نظرية المؤامرة والتمثل العدائي للآخر، هي عناصر بحاجة يستند إليها كل من التطرف اليميني والإسلاميين على حدّ السواء. إنّ هذان التياران المتطرفان يقدمان عادة أجوبة سهلة ومختصرة لإيجاد حلول لمشاكل مجتمعية متنشعبة مستندة إلى مقاربات: الأسود والأبيض، الجيد والسيئ، المحظور والمباح. إنّ الإجابات التي تقدّمها هذه التيارات لا تترك مجالاً يذكر لأيّ حلول وسطية أو تنازلات أو لحيز من الغموض.

ولئن كنّا على وعي تامّ بأن التطرف يمكن أن يتخذ منحى سياسياً (أقصى اليمين أو أقصى اليسار) أو أيديولوجياً (الحركات المتشددة المرتبطة بالدفاع عن البيئة على سبيل المثال)، فإننا نختارنا أن نركز في هذه المقاربة التحليلية على ظاهرة التطرف الديني، وبالأخصّ المتصلة بالإسلام. يعود اختيارنا إلى ثلاثة أسباب رئيسية. أولاً إنّ المقاربة التحليلية التي تم إجراؤها في هذا السياق هي جزء لا يتجزأ من المشروع الأوروبي ("برايدي PRIDE" الحد من التطرف من خلال التبادل والحوار بين الثقافات) الذي يجمع هياكل من تونس وفرنسا وألمانيا. لذلك يتعلق الاختيار في هذا السياق بظاهرة التطرف باعتبارها ظاهرة يشترك فيها البلدان الثلاثة. ثمّ إنّ مسألة الإسلاموية تعدّ موضوعاً راهناً وحاضراً في حياتنا اليومية. أمّا السبب الثاني فيتصل بمجال عمل الهياكل الخبيرة الثلاثة المضطعة بهذه المقاربة التحليلية وهي: [ufuq.de](http://ufuq.de)

وجمعية الرابط بين الثقافي والأسري والاجتماعي (ALIFS) والمركز العربي للبحوث والدراسات السياسية (CAREP) وثلاثتها تتطرق لقضية التطرف المرتبط بالإسلام. وأخيراً، فالتطرف موضوع يتسع نطاقه ويتشعب ليؤثر في حركات مختلفة (السياسية والدينية وغيرها) على نحو متفاوت جداً. ورغم وجود أوجه تشابه بين الحركات اليمينية المتطرفة والحركات الإسلامية إلا أن مقارنتها في إطار مقاربة تحليلية ضيقة النطاق ليس بالأمر الهين. وحتى نجتنب أي مقارنة متسرعة، أثرنا أن نركّز اهتمامنا على وجه الخصوص على ظاهرة التطرف الديني المتصل بالإسلام.



## المحور الأول: ما هو التطرف

يمكن تعريف التطرف بأنه موقف أو وجهة نظر أو سلوك أو حركة فكرية يتخذ طابعا أكثر راديكالية وصعوبة وشدة وتصلبا وصرامة، بإسناد خصائص اطلاقية ونهائية على شيء ما وخصوصا في مجال لإيديولوجيات الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو في مستويات أخرى وما يتصل بها من مجالات تطبيقية.

وقد يتخذ التطرف منحى إيجابيا مثلما أطلعنا التاريخ على ذلك، من قبيل ما شهده من حركات جذرية كانت تهدف لمحاربة نظام معين يرتبط بعصر ما. فالحركات النسائية التي كانت تدافع عن حقوق الإنسان تعدّ مثلا على ذلك من خلال ما ترتب عنها من أفكارهم تحررية وتقدمية نتعامل معها اليوم على أنها بديهية كما يمكن النظر إلى التطرف من زاوية أخرى من قبيل أنه ظاهرة طبيعية إذا ما ربطناه بمسارات اجتماعية معينة يرغب من خلالها الفرد في معارضة ظواهر ما على نحو جذري. تلعب الراديكالية أيضًا دورًا مهمًا في مرحلة المراهقة إذ أنها بالنسبة للشباب تعدّ مسار توجه واكتشاف وبناء ذاتي.

### 1. تعريف مفهوم التطرف

يتغذى التطرف من المواقف الشخصية حيث يتخذ الشخص مواقف جامدة يتوهم من خلالها اكتسابه للحقيقة. ويتمثل أيضا في تبني فرد أو مجموعة من الأفراد أشكال من الاحتجاج التي تقوم على الفعل يقرون من خلالها أحيانا، وليس دائما بمبدأ استخدام العنف. فيكون الالتجاء للعنف مبررا أخلاقيا باعتباره الحل الوحيد المطروح أمام وضعية يعتبرها الشخص المتطرف "غير قابلة للحل". فيأخذ هذا الموقف المتشدد في التطور ويتبلور في شكل قطيعة مع النظام القائم في جميع أبعاده. لا يوجد تعريف متفق عليه أو عالمي للتطرف. إلا أن بعض التعريفات معتمدة أكثر من أخرى. من قبيل ما جاء به عالم الاجتماع الفرنسي الإيراني فرهاد كوسروكوفار Farhad Khosrokhavar إذ أورد "نقصد بالتطرف، المسار الذي يعتمده فرد أو جماعة من الأفراد، باللجوء لأعمال عنف ترتبط مباشرة بايديولوجيا متطرفة ذات محتوى سياسي أو اجتماعي أو ديني تتحدى النظام القائم على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي". (Khosrokhavar 2014) بالنسبة لكوسروكوفار-Khosrokhavar ، يتصل الأمر إذا بفعل يدعم الأيدولوجيا الدينية (إسلامية، مسيحية أو يهودية أو غيرها)، الاقتصادية أو السياسية.

إلا أن الجدل حول طبيعة التطرف لا يزال قائما في النقاشات السياسية والبحوث العلمية. إذ لا يتفق الجميع على أنه ينطوي دائما على استخدام العنف (نيومان Neumann 2013). في تونس وفرنسا نجد أن مفهوم التطرف يؤكد استخدام العنف. أما في ألمانيا، فيتركز في تعريف التطرف بدلاً من ذلك على الظواهر غير الديمقراطية وعلى مظاهر التحقير من شأن الآخرين بدل فكرة اللجوء إلى العنف .

ورغم الفروق الكائنة بين مختلف التعريفات في البلدان الثلاثة، إلا أن الآراء تتفق حول بعض السمات المشتركة. من ثمة، يمكن تعريف التطرف من خلال ثلاث خصائص جامعة .

- مسار تدريجي
- التمسك بايديولوجيا متطرفة
- التبنّي الفعلي أيديولوجيا عنيفة

تتغذى هذه العمليات من بيئة الفرد الخاصة وتجاربه الشخصية وكذلك المحيط الأسري والاجتماعي.



فظاهرة التطرف، والتطرف القائم على العنف على وجه الخصوص، ليست جملة من الوقائع المعزولة. بل هي جزء من سيرورة عملية اجتماعية تشمل الوالدين والأسرة والأقران والجوار والمجتمع عموماً. فالأشخاص المتطرفون إذا ليسوا "ذئاباً معزولة"، رغم حضور هذا الوصف أحياناً في بعض كتابات العلماء الذين تطرّقوا لهذا الموضوع.

## 2. المقاربات التوضيحية لظاهرة التطرف

تختلف المقاربات العلمية التي تتطرق لشرح ظاهرة التطرف كما تتعدد النقاشات في هذا المجال. نوضح فيما يلي المقاربات الأكثر تواتراً: المقاربة الحتمية / الموضوعية التي تتعرض للأسباب الموضوعية (السياسية، الاقتصادية، إلى غير ذلك)، المقاربة الثقافية التي تستند إلى النصوص والأيديولوجيات والخصائص الثقافية. ثم المقاربة التفاعلية التي تستند إلى خبرات الشخص المتطرف واختياراته العقلانية والإطار الحاف بجنوحه نحو التطرف. وأخيراً، المقاربة النفسية التي تتطرق من ظروف الفرد ودوره وما يتعرض له من الإحباطات الشخصية والأشخاص الذين أثروا فيه وإلى غير ذلك. فيما يلي عرض لبعض المقاربات التفسيرية.

يصف أوليفر روي Oliver Roy بأن ما تتعرض له الجماعات الجهادية من افتتان هو "أسلمة" للتطرف ويؤكد بأن الأسباب الكامنة وراء التطرف ليست دينية في حد ذاتها (روي Roy 2015). إن التطرف الذي بات موجوداً على نحو لا شك ولا جدال فيه، لا يعد أمراً مستحدثاً. بل اتخذ فجأة طابعاً دينياً. يشرح روي Roy سلوك الجهاديين الأوروبيين الشباب بكونه شكلاً من أشكال الثورة أو الصراع بين الأجيال الذي يضم شباب الجيل الثاني والثالث والوالدين والمجتمع. ويرى روي Roy، أن الدور الذي يلعبه الدين في هذا الصراع سطحيّ ولن يكون له في هذا الصدد أي وقع دون معرفة عميقة بالإسلام وتقاليدته. لذلك يقارن من جهة بين المنضويين تحت تنظيم "داعش" DAESH (الدولة الإسلامية في العراق والشام) وجماعة "جبهة النصرة" ومن جهة أخرى الجماعات الإرهابية الأخرى مثل "جماعة الجيش الأحمر" في أعوام 1970 و1980 الذين تحركهم الدوافع نفسها. فنجد أنّ عدداً كبيراً من الجهاديين الأوروبيين الشباب لم ينشأ نشأة دينية. فلا تتطور اهتماماتهم الدينية إلا بعد انضوائهم تحت المجموعات المتطرفة. يمكن ملاحظة هذا السلوك على وجه الخصوص من خلال ضعف مبادراتهم في ممارسات دينية مخصوصة. ومن ثم، فإن الاهتمام الذي أبداه هؤلاء الشباب تجاه هذه الجماعات المتطرفة يفسر خصوصاً بالحاجة المفاجئة إلى بدء حياة جديدة من خلال التطرف الديني المفاجئ.

أما بالنسبة لجيل كيبل Gilles Kepel، وهو عالم فرنسي متخصص في قضايا الشرق الأوسط فهو يسلط الضوء على العلاقات التاريخية والأيدولوجية التي تربط الحركة الجهادية بالمنظمات الإسلامية الناشطة منذ عام 1920 وقد أخذت بالجنوح نحو التطرف الجهادي في الشرق الأوسط منذ عام 1970. ويرى أنه يمكن أن نلاحظ "تطرف الإسلام". هو لا يفسر بروز السلفية بالصراع بين الأجيال، بل هي نتاج "قطيعة ثقافية" مع المجتمع سببه الأيدولوجيات التقليدية واللاهوتية (كيبل Kepel 2015). فيشترط كيبل Kepel بأنه لا يمكن لأحد فهم النزعة العنيفة للجهاديين دون الوقوف عند بعض المفاهيم الدينية مثل الجهاد.



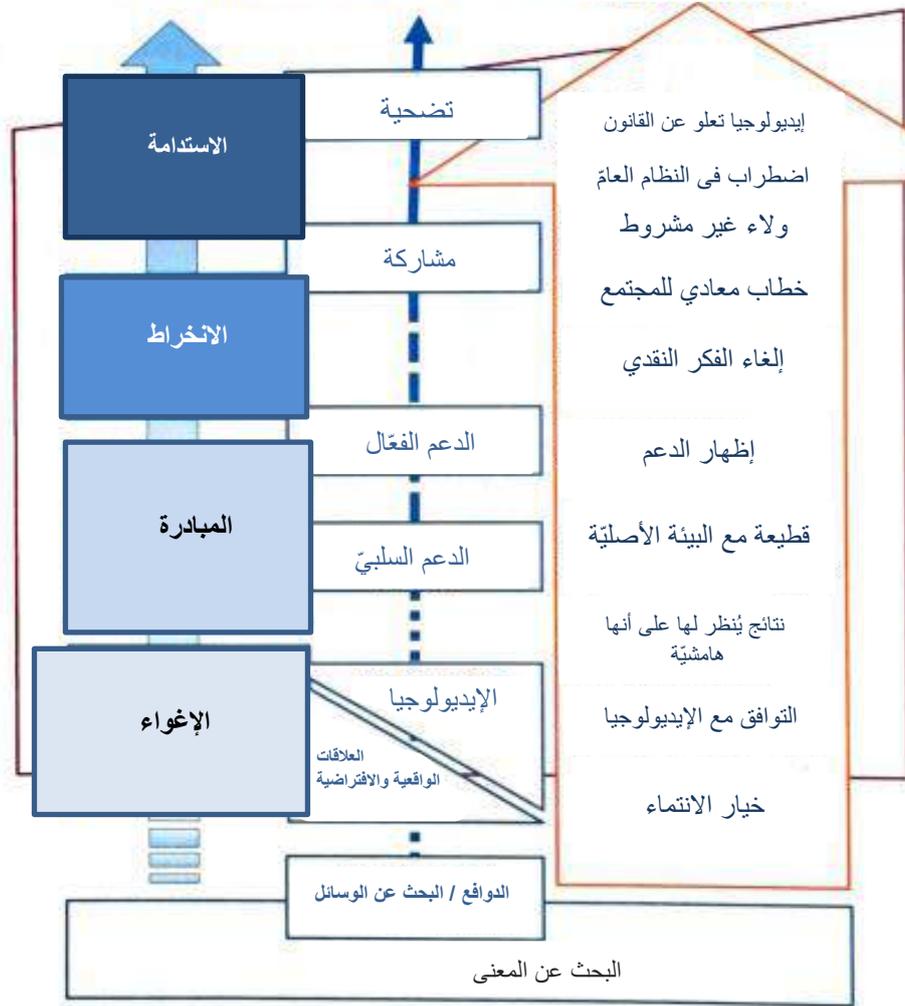
يركز فتحي بن سلامة، وهو مؤلف وباحث فرنسي، على مسألة التطرف من جانب التحليل النفسي. فحسب المحلل النفسي، لا تعد العوامل الاجتماعية والدينية لوحدها كافية لتفسير جاذبية الأيديولوجيا والحركات المتطرفة. علينا الغوص في أغوار المسألة من خلال التركيز علالمنافع النفسية والفردية التي يجدها الشباب والشابات في هذه المجموعات والحركات من قبيل الوعود التي تقدمها الحركات المتطرفة للشباب وما تفي به هذه الوعود من انتظارات. (ابن سلامة 2017)

إن التناقضات التي تميّز الأطروحات الثلاث التي تقدم بها كل من روي Roy وكييل Kepel وبن سلامة ليست سوى تناقضات سطحية. فإتساع نطاق التيارات الدينية المتطرفة وتعدد سير الأشخاص المتطرفين ما هو إلا دليل على ما تنتم به الخصائص الفردية من تعقيد وتنوع. فضلا عن العوامل السياسية والدينية التي قد تمثل تفسيراً إضافياً للتعاطف مع الأيديولوجيات المتطرفة.

## 1. مراحل التطرف

لا نقصد هنا سيرورة عملية التطرف وإنما سيرورات التطرف واردة في صيغة الجمع. إن الخطوات نحو التطرف ليست ثابتة ويمكن أن تؤدي كل خطوة إلى عواقب تؤثر على التي تليها. إن المستويات الفاصلة بين مختلف المراحل تتمايز باعتبار المدة التي يجنح فيها الشخص نحو التطرف. فيمكن أن يستغرق ذلك بضعة أسابيع كما يمكن أن يتطور على مدى عدة سنوات (هولي يونغ Holly Young 2016) إضافة إلى ذلك، تمتد جذور التطرف لتجد أصولها في السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للبلد الذي تقع دراسته. إن العنصر المشترك الجامع بين مختلف هذه المراحل هو الطابع التدريجي الذي يسم استيعاب الأفكار وتبني مواقف وسلوكيات معينة (انظر الرسم البياني الوارد أسفله).

## مراحل التطرف



(البعثة الوزارية للحذر ومكافحة التجاوزات الطائفية 2012 (MIVILUDES)

ما يمكننا أن نلاحظه أساسا هو التمييز بين ثلاثة أشكال مختلفة من سيرورات التطرف. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المراحل الثلاث قد عرضت بشكل ملخص لإبراز مختلف دوافع ومراحل التطرف. لا نستبعد تداخل في بعض حالات التطرف.

### مرحلة قصيرة المدى وطائفية

يعتمد في هذا الصدد كذلك مصطلح الاستقطاب "embrigadement" للإشارة إلى هذه المرحلة الأولى. في البداية كان يقصد بالاستقطاب تكوين فرقة عسكرية من خلال ضم عدة وحدات. ثم تطور هذا المصطلح بتطور المجتمع والنزاعات الدولية وأصبح يعني ضم أشخاص تشتترط طاعتهم الصارمة لخدمة هدف معين. يصبح الاستقطاب إذا السيرورة التي تصف مراحل انخراط الفرد ذو الوضعية الهشة في الجنون الجهادي

### سيرورة طويلة المدى مألجة

يطلق مصطلح "التلقين" أيضا لوصف المرحلة الثانية. والتلقين هو عملية يتم من خلالها غرس تعاليم مذهب ما لمتعلمين. اكتسب هذا المصطلح بمرور الزمن معنى سلبيا.



خاصة عندما يحل الاعتقاد أو الإذعان الديني محل العقل. فيصبح كل من المجال السياسي والديني مركزين مهمين للتلقين. وهو ما يقودنا إلى الاعتقاد بأن التلقين هو شذوذ عن المسار التعليمي حيث انه يراهن على آراء مسبقة مترسخة وخصوصا على قصر المدة الزمانية لنشر الرسالة المرغوب فيها.

#### المرحلة المتصلة بالسيرورة الهوياتية والانية

يتصل التطرف غالبا بهوية الفرد. يطمح الأشخاص الذين تعرضوا للإهانة أو صارت شخصيتهم هشة، إلى الانتقام وقد يميلون إلى المرور لمرحلة استعمال العنف. إن الجانب المعقد في هذه المرحلة هو أنه من الصعب رصدها. وفي الواقع، لا نجد الملمح النموذجي المطابق إلا أن الشخصيات المتطرفة تشترك في جانب واحد: يحس جميعهم بالأذى أو الضعف. ينظر هؤلاء لأنفسهم كضحايا و يشعرون بالإهانة. ونظرا لوضعيتهم النفسية الانهزامية إن ما يحسون به من فشل أو ظلم يعد الخيط الناظم لحياتهم اليومية. حتى إن هذه الأضرار النفسية قد تكون وهمية. فانطلاقا من هذه المشاعر بالتحديد تبدأ مراحل التطرف في التشكل على نحو سريع للغاية دون المرور بمراحل التطرف الكلاسيكية. إذ يتبنى الأشخاص الذين يرتبط نظرفهم بالهوية موقفاً انتقاميا لرد الاعتبار لاكتساب شخصية أكثر صلابة ومحو ما تعرضت له من إهانة. فيصبح الإسلام كنزاً يتوجب حمايته. ويسعون من خلال المهمة الموكولة لتحقيق هدف النقاء الديني الذي يمكن أن يقودهم للمشاركة في أعمال العنف والإرهاب.

#### 4. القطيعة كعامل (ممكن) للتطرف

تعد السياقات الفردية والاجتماعية الأهم في الدراسة مثلما هو الشأن للوقاية من التطرف. تعتبر الوضعية التي تتسم بها الروابط الفردية في علاقتها بالمجتمع مسألة ضرورية لفهم اندلاع التطرف ولتطوير الردود الوقائية. يوجد شكلان للتعلق الهش أو القطيعة يمكن من خلالهما تفسير بدايات التطرف أو التعاطف مع ايديولوجيته. غير أن القطيعة ليست دائما بائنة للعيان ولا يسهل دوما تحديدها. كما هو الحال في مرحلة التطرف التابع للهوية (المذكور أعلاه). فيما يلي بعض العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى شكل من أشكال التطرف.

#### عدم الانتماء: الجانب المستضعف

نجد أولا عامل "عدم الانتماء" الذي يعد قطعا لمختلف روابط الانتماء، أي ألا نتوقف عن كوننا جزءا من مجموعة أو عائلة ما. فيصبح الشخص مستقلا تماما عن المجموعة التي كان ينتمي إليها.

في علم الاجتماع، يعد عدم الانتماء دليلا على "انحلال الروابط الاجتماعية" (روبرت كاستل Robert Castel). وذلك بالابتعاد عن العمل والمجتمع عموما، ليجد الشخص نفسه في عزلة اجتماعية وعلائقية تتسم ب:

- فقدان جميع المعايير التي كان يعتمدها الشخص ووضعها محل تساؤل
- تدمير للذات حتى في أبعادها الحميمة
- بحث عن انتماء حقيقي جديد متصل بالهوية
- أزمة اعتراف وفشل في إيصال المعلومة



## التجريد من الأهلية: التهميش

نذكر كذلك عامل عدم الأهلية الذي يشير إلى "سيرورة" إضعاف أو قطع روابط الفرد مع المجتمع بمعنى فقدان الحماية والاحساس بالاعتراف الاجتماعي ". إن المبدأ هو تهميش + ووسم الأشخاص الذين لا يشاركون مشاركة فاعلة في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. يتميز + مسار عدم الأهلية بثلاث مراحل رئيسية

- مرحلة بسبب انعدام الاستقرار في مجال العمل
- مرحلة الاعتماد على هشاشة متصلة ببداية وضع الفرد مهنيًا في الخدمات الاجتماعية
- مرحلة التهميش عندما تصبح الخدمات الاجتماعية غير قادرة على تأمين انخراط الفرد.

يكن دور الأطراف الفاعلة، من ضمن ما تقوم به من مهام للحد من التطرف، في تعزيز الشعور بالانتماء وإدماج الشخص في المجتمع الذي يعيش فيه، إضافة إلى دعم مشاركة الشباب في الحياة الديمقراطية الفاعلة.

## 5. التطرف الديني المرتبط بالإسلام: مثال السلفية

في النقاشات السياسية غالباً ما يرتبط التطرف بالنزعة الأصولية (الرجوع إلى المصادر الأساسية للدين) أو إلى النزعة المحافظة من خلال الالتزام بحرفية النص (القراءة السطحية للنص المقدس دون اللجوء إلى التفسير). أنتجت النزعة الإسلامية في العالم الإسلامي من الأفكار الكم الغير. مثلت بعضها قاعدة مؤسسة للحركات المتطرفة والإرهابية مثل السلفية في حين أدى البعض الآخر إلى إنشاء ما يسمى بالدولة الإسلامية بعد الثورة الإيرانية 1979.

إن خصوصية السلفية باعتبارها تعبيراً منفصلاً عن الإسلام السني تكمن في الفهم المتشدد والحرفي للقرآن والسنة (بمعنى "القوانين الثابتة" باللغة العربية). فبالنسبة للسلفيين، يجب اتباع هذه المصادر حرفياً بغض النظر عن الوضع القائم أو النظام المجتمعي الذي يعيش فيه الشخص. ومفردة السلفية "مشتقة في اللغة العربية من" السلف "التي تعني بالرجوع للمشتق " القداماء الورعين" الذين عاشوا زمن الرسول وكذلك خلفاؤه المباشرين. يعتبر أتباع السلفية الحاليون أن هذا الجيل الذي عايش زمن الرسول باعتباره "العصر الذهبي" هو عصر نموذجي ويجب أن يقع اتباع تعاليمه وتقاليده حرفياً، دون تأويل أو تغيير. إن هذا التصور الديني يعود على وجه الخصوص إلى التيار السلفي الذي يميل إلى الانفصال عن التيارات الإسلامية الأخرى من خلال محاولة التأثير على طريقة عيش المسلمين المعاصرين وأسلوب تفكيرهم. إن جوهر المنظومة الإسلامية يقوم على مبدأ التنوع وهو يقضي بالاعتراف المتبادل بين المذاهب الأربعة فضلاً عن تأويل المصادر الدينية المختلفة بين الأنبياء والرسول. نجد هذا المبدأ كذلك بين المسيحيين واليهود متى لا يحتكر أحد الحقيقة المطلقة.

وهكذا فإن الفكر السلفي يدحض جميع التفسيرات الدينية للإسلام التي يُنظر إليها على أنها افتراء. لتنصب نفسها وفيه ومالكة وممارسة ل"الإسلام الحقيقي" دون حذف أو إضافة أو تغيير. يوظف هذا الخطاب أساساً لإقناع أي شخص م أو أي منتسب جديد للتيار.

إن التيار السلفي ليس متجانساً.



فهو في الواقع ينقسم إلى ثلاثة تيارات رئيسية، الصفائي (ويسمى أيضا الطمأنية) والسياسي التبشيري والجهادي. ولئن اعتبر هذا التمييز دقيقا، فمن المهم أن نكون على بيّنة مما يختص به التيار السلفي من تباين. ومن بين مختلف الجوانب الأكثر أهمية مسألة العنف، فالتيار الجهادي هو الوحيد الذي يقبل باللجوء للعنف من أجل تعزيز أيديولوجيته. إن الإسلاموية ظاهرة عالمية. إلا أنها تظل ظاهرة غير متجانسة الجوانب فيما يتصل بالمفاهيم والاستراتيجيات الأيديولوجية المعتمدة. فالسياقات المحلية هي التي تبرز الفرق بين الجانب الأيديولوجي والتواطؤ والاستراتيجيات وأساليب الاستقطاب بين مختلف هذه المجموعات.

### النزعة الصفائية أو الطمأنية

تركز النزعة الصفائية على الجانب الروحي للدين والتربية اقتداء بالسلف-كمثل أعلى". إنها تمارس الشعائر الدينية يوميا دون ممارسة ضغوط مباشرة على الآخرين من المسلمين أو غير المسلمين. يتفادى هذا التيار الخوض في مجال الأنشطة السياسية ويركز بدلاً من ذلك على ممارسة حياة تقية دون إرادة لتغيير المجتمع. تختلف وجهات الرأي العام بخصوص هذه المجموعة. وفقا للأجهزة الأمنية والمخابرات الألمانية، لا يمثل المنضوون ضمن التيار الصفائي أي خطر على الأمن الوطني لذلك لا يتم تتبعهم. فالمنتمون لهذا التيار لا يخالفون القواعد التي ينص عليها الدستور الألماني والتي تقر بالحرية وحرية الممارسة الدينية للجميع.

### التيار السياسي التبشيري

يسعى التيار السياسي التبشيري إلى إحداث ثورة في المجتمع من خلال ما يعرف ب "الدعوة = الدعوة إلى الإسلام" التواصل مع غير المسلمين والمسلمين الذين يسيئون ممارسة "دينهم". إن السلفيين المنضوون تحت هذا الاتجاه ملزمون بتطبيق "الدعوة" من خلال توزيع الكتب المقدسة، والاعانات أو تقديم المواعظ في الشوارع، و غير ذلك من الممارسات لإقناع الآخرين بالانضمام إلى دينهم. كثيرا ما يعتمد السلفيون المنضوون تحت النزعة التبشيرية الشبكات الاجتماعية عن طريق نشر انتاجات مصورة أو اعتماد المنتديات للإجابة عن أسئلة متعددة يطرحها الشباب. لكن هذا الاتجاه يرفض أي شكل من أشكال العنف الجسدي.

### التيار الجهادي

أما عن التيار الجهادي فيقوم على إضفاء الشرعية على استخدام العنف كوسيلة لخدمة مصالح المسلمين ودينهم. يتأسس هذا التيار على وجه الخصوص على تجنيد ناشطين شبان ينخرطون تباعا في مختلف المنظمات أو المجموعات الإرهابية، حتى أن بعضهم ينضم إلى مناطق النزاع من قبيل سوريا والعراق.



## المحور 2: التطرف، بين الظاهرة العالمية والاستجابات المحلية. تجارب ألمانيا وتونس وفرنسا.

### 1. التطرف الديني في ألمانيا.

تعدّ السلفية من بين أكثر التيارات المتطرفة التي يمكن ملاحظة حضورها في ألمانيا اليوم. في هذه المقاربة التحليلية، نوظف هذا التيار كمثال لفهم مختلف جوانب التطرف المرتبطة بعدة عوامل فردية أو سياسية أو أيديولوجية أو مجتمعية.

يبلغ عدد الأتباع السلفيين حالياً حوالي 12000 شخص في ألمانيا. + هو لا يمثل سوى أقلية داخل المجتمع المسلم الألماني الذي يبلغ حوالي 5 مليون تابع (BMI 2017) منذ سنة 2004، كانت السلفية حاضرة في على الساحة العامة والإعلامية، وذلك بعد ظهور بعض الدعاة أو المبادرات الدعوية. تثير السلفية الكثير من النقاشات في المجتمع الإسلامي وفي المجال السياسي.

#### (أ) استقطاب الشباب، الدين والنشاط السياسي

يعكس وضع التيار السلفي الألماني على نحو مخصوص استقطاباً للشباب نظراً للفئة العمرية التي ينتمي إليها هؤلاء والخصائص المميزة للوضع. يحاول الدعاة تقديم إجابات دينية تجيب عن تساؤلات العديد من الشباب الباحث عن وجهة أو معنى للحياة لمجابهة تحديات الحياة اليومية. كثيراً ما يعتبر الكثير من هؤلاء الشباب، حتى وإن انحدروا من عائلات مسلمة "أميين دينياً" بسبب جهلهم بدينهم وعدم ممارسة شعائرهم. إن الفرص النادرة السانحة في المدرسة أو المجتمع أو محيطهم العائلي أو في أماكن أخرى للتعامل مع المواضيع الدينية توظف من قبل الحركات السلفية، وهو ما يمنحها طابعاً مغرباً في نظر الشباب. يتطرق التيار السلفي إلى مواضيع ناجمة عن العولمة وذلك في إطار مخطط مدرّس: فالسلفية تجعل الأمور المعقدة طيّعة وأقل تعقيداً وتفتّح حلولاً مناسبة وسهلة. إنها تُظهر جلياً ما يواجهه الشباب في ألمانيا من معضلات وخط حين يتعلق الأمر بالتموقع بصفتهم شباب مسلمين ألمان. إن الجدل الدائر حول الإسلام أو بخصوص بعض التشريعات أو السلوكيات الممارسة ضد المسلمين يعزّز الانطباع المترسّخ لدى الشباب بأنّ دينهم وانتماءهم الاجتماعي غير مقبولين. فغالباً ما يواجه هؤلاء الشباب رفضاً اجتماعياً ووسماً يريدون التنديد به.

إن المواضيع التي يثيرها التيار السلفي في ألمانيا غالباً ما تستقطب بشكل مباشر أو غير مباشر الحياة الشخصية للشباب أو تثير فيهم رغبة في التمرد. وتتعلق هذه الأسئلة بمبادئ الديمقراطية والحياة المجتمعية والمعنى الحقيقي للحياة ومظاهر التمييز في المجتمع وقضايا المخدرات والجنس والصراعات العائلية وعدم المساواة الاجتماعية والأزمة المالية ومسألة الهوية الجنسية، وما إلى ذلك. وبما أن العديد من الشباب يواجه مظاهر تمييز وتهميش، فإن الحركة السلفية لا تقدم لهم إمكانية استنكار هذا الشكل التمييزي فحسب، بل كذلك إمكانية الخروج من جلباب الضحية. حيث يحاول التيار السلفي أن يقدم لهم هوية جماعية مشتركة من خلال الدين الذي يناهض جميع أشكال التمييز. فيكون الملجأ الحقيقي الوحيد هو الانضمام إلى مجتمع (أمة) يناهض "الكفار".



كما توظف الأزمات السياسية، لا سيما في الشرق الأوسط، للوصول إلى الشباب. فيستغل السلفيون هنا شعورهم بالعجز ضد سياسات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. إن هذا الغضب، هذا الظلم وهذا الإحباط يقود الشباب إلى التعاطف مع القضية السلفية للردّ على اضطهاد الغرب المزعوم. كثيرا ما تعرض هذه الحملات الدعائية في مشاهد الفيديو التي تبتّ على شبكة الإنترنت أو التي تصاغ من خلال بعض الخطب المتعصّبة. فتتضح الرسائل المختبئة بين السطور: "لا تدعوا الإخوة والأخوات يموتون في هذه الأراضي بينما نبقى نحن في أوروبا". يناهض السلفيون كذلك ازدواجية الأخلاق الأوروبية بسبب تدخلاتهم في مناطق الصراع هذه، حيث يزودون الأنظمة القمعية بالأسلحة. فتتراءى هنا الحركة السلفية فرصة للانضمام إلى مجتمع مسلم قويّ مستعدّ لاستقبال هؤلاء الشباب الذي غالبا ما يشعر برفض مجتمعهم الأصليّ وتخليه عنهم.

كما يتجلى استقطاب الشباب في الحركة السلفية في إنتاج أشرطة مصورة قصيرة في شكل ألعاب فيديو. والندوات الإسلامية التي تنظمها هذه المجموعات تتحو نفس المنحى.

لم يعد الأمر يتعلق بتنظيم ندوات مع الخبراء والمنظرين، وإنما يقع التركيز على الاتصال المباشر مع الشباب في ميدان تواجدهم، أي في نوادي الأرجيلة أو في الفضاءات المخصصة لهم من خلال المزج بين اللعب وتعليم. "الشريعة - الشرطة" و "Charia-Police" و "شارع الدعوة" Street-Dawa هي أيضا أشكال أخرى تستخدم للوصول إلى هؤلاء الشباب. فهدف السلفيين هو العمل كأخصائيين اجتماعيين من خلال التواجد على الساحة.

ب: الوقاية والانفصال

لا يقتصر التأثير الذي تحدثه الحركة السلفية على اتخاذها طابعا عنيفا فحسب. فمن المهم في هذه الحالة تفادي الاستقطاب والتحرك بمعزل عن السياق الديني للوقاية ضد أي تطرف (سواء اتخذ شكلا عنيفا أولا). فعلى سبيل المثال يمكن الاطلاع على مختلف التجارب التي تصدت لليمين المتطرف لاقتفاء أثر مختلفة التجارب التي تصدت للتطرف. (الإجراءات الأولية والثانوية والاستثنائية)

منذ سنة 2010، تقوم الحكومة الألمانية بحملة لرفع مستوى الوعي ومكافحة جميع أشكال التشدد في مواجهة مجموعات محددة. ويمثل التطرف جانبا من جوانب هذا البرنامج الفيدراليّ الذي يطلق عليه مصطلح "ديموكراتيليبين" Demokratieleben (العيش في ظل الديمقراطية) الذي تشرف عليه وزارة الأسرة ويغطّي كامل الإقليم الوطنيّ. يهدف هذا البرنامج إلى تمويل العديد من الجهات الفاعلة في المجتمع المدنيّ أو الولايات الفيدرالية أو البلديات من أجل مواجهة تحدي التطرف السياسيّ والدينيّ وخاصة في صفوف الشباب. تتواجد مجموعات عدّة من المنظمات والجهات الفاعلة في مناطق مختلفة. وعادة ما تركز الإحاطة الوقائية الأولى على الأطفال والشباب الذين يبحثون عن هوية أو انتماء أسريّ أو سياسيّ أو غير ذلك وذلك بغض النظر عن دينهم أو خلفيتهم الاجتماعية. لذلك يمكن أن يستهدف التصدي للتطرف المجالات التالية: الهوية مكافحة التمييز والمشاركة الفعالة في المجتمعات التي يعيش فيها الشباب. ويمكن أن تتخذ هذه الأنشطة منحى دينيا أو سياسيا أو مدنيا أو معنويا مما يدعم مشاعر الانتماء والانتساب بين الشباب بالتوازي مع العمل على تحسين مهاراتهم الشخصية وكفاءاتهم لمواجهة تحديات الهجرة دون أن نحصر ذلك في الجوانب السلبية. يتمثل أحد التحديات في التوفيق بين الأنشطة التعليمية والمهنية والترفيهية التي يمارسها الشباب، وهو ما يقتضي عملا في جميع المجالات التعليمية والاجتماعية والرياضية والنفسية وغيرها.



تتركز الجهود الوقائية الثانوية على خلاف الأولى على الأشخاص المعرضين لخطر الانزلاق نحو التطرف و المستقطبين والتائبين فيتراعى أنه من الضروري هنا تظافر الجهود بالعمل على نحو متعدد الاختصاصات لمد يد العون لهؤلاء الأشخاص للخروج من هذا الوسط، أي لإعادة إدماجهم في المجتمع المدني.

في الواقع، من الضروري التعامل مع أساليب الحد من التطرف على أنها كلّ شامل لا يتجزأ وألا تقتصر على خصائص محددة مثل السلفية أو الالتجاء للحفاظ على الأمن العام لتفادي توالد الأحكام المسبقة أو الوسم الممنهج. فنتيجة لتواتر النقاشات حول الهجرة والإسلام في السنوات الأخيرة في جميع أنحاء أوروبا، أصبح الحد من التطرف يستلزم وجوباً مجتمعاً مختلطاً: وهو ما يستوجب تركيز جملة من المعايير والعمل على تطويرها على نحو يجعل المشاركة في المواطنة الفاعلة أمراً ممكناً، أو في نفس الوقت العمل على تعزيز شعور الجميع بالانتماء إلى مجتمع.

## 1. التطرف في تونس

منذ بزوغ الإسلام في شمال إفريقيا تميز التونسيون بشكل عام والزعماء الدينيون بشكل خاص بتبني مبادئ ومواقف تتعارض مع جميع أشكال التطرف. وقد نتج هذا عن التفسير المختلف للنص الديني. ففي الوقت الذي "انجرف" فيه المسلمون تدريجياً نحو التفسير الحرفي للنصوص الدينية على نحو وقع فيه تمييع التفكير العقلاني (الحنابلة 2017)، توصل الزعماء الدينيون التونسيون إلى تقديم قراءة للنص المقدس تتميز بمرونتها ولينها، وبالتالي رفض أي شكل من أشكال الجمود والتطرف.

لكن في الوقت الذي كانت فيه تونس قبل الاستقلال قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الراديكالية الاجتماعية والدينية، شهدت فترة ما بعد الاستقلال منذ بداية الستينيات ظهور هذه الظاهرة وتطورها في الزمان وامتدادها في المكان بأشكال متعددة. فاتخذت الممارسات الراديكالية شكلين مختلفين. وذلك حسب شدتها. تفرعت هذه النماذج على مرحلتين من تاريخ تونس المستقلة، قبل ثورة 2011 وبعدها.

### أ. التطرف المتحكّم فيه

تمتد المرحلة الأولى منذ 1960 وحتى اندلاع الثورة في عام 2011 (قبل الثورة) وقد شهدت نوعين من الراديكالية السياسية. أما الأولى، فتتنتمي إيديولوجياً إلى اليسار المتطرف الذي ولد في الجامعة حصراً. وقد تميزت عن اليسار الكلاسيكي من خلال نعتها له بالإصلاحيّ ومشاركتها في النشاط السياسي على مستوى الخطاب والممارسة التي تدعو للتغيير الاجتماعي والسياسي من خلال "العنف الثوري". بالإضافة إلى القمع الذي عانى منه نشطاؤها، كانت هذه الحركة الإيديولوجية ضحية طابعها النخبوي. وقد كان لهذين العاملين تأثير في الحد من نطاق انتشار أفكارها وتأثيرها على مواقف العامة.

منذ السبعينيات، ظهر نوع جديد من التطرف، وهو ما يعرف بالإسلام السياسي، في سياق دولي تميز بالأزمة الاقتصادية، وفشل الدول القومية وسقوط الشيوعية وانتصار الثورة الإيرانية. منذ نشوئها في أوائل السبعينيات، دافعت حركة التيار الإسلامي في تونس (MTI)، التي سميت النهضة في عام 1989 دافعت عن تصور أصولي و ماضوي للإسلام. ووفقاً لهذه الرؤية، حاولت اعتماد جميع الوسائل بما في ذلك اللجوء للعنف والقوة لهدم ركائز وأسس سياسة الحداثة التي بدأت منذ الاستقلال بقيادة الزعيم الحبيب بورقيبة الذي وصفوه بالملحد الذي يريد اقتلاع التونسيين من ثقافتهم الإسلامية بفرض مشروع محاكاة الغرب والاعتراب الاجتماعي والمعنوي.



توزع هؤلاء الناشطون في الجامعات والمساجد وتشكلوا كحركة لها جناح عسكري. وكانت المواجهة مع النظام الاستبدادي حتمية لا مهرب منها. على الرغم من نظريات الحركة الإسلامية التي اتجهت لمعتقدات العامة ومحاولاتها لتنصيب نفسها حارسا وكفيلا بحماية الهوية الوطنية وأصالتها، فإنها لم تنجح في كسر المخاوف والهواجس الناتجة عن نموذج المجتمع الذي يدافعون عنه وعن الأساليب العنيفة التي يعتمدونها.

طوال هذه المرحلة التي عم بها الاستبداد والدكتاتورية ترتب تأثير اجتماعي محدود عن مختلف أشكال الراديكالية المتولدة عن الطبقات الاجتماعية الدنيا والتي التجأت للعنف كوسيلة للتغيير. وتم وقفهم باللجوء للقمع من خلال أساليب أكثر عنفا مارستها عليهم السلطة.

### ب. التطرف الجامح

تمتد المرحلة الثانية من سنة 2011 إلى غاية سنة 2014. وتعتبر هذه السنوات الثلاث بعد الثورة نقطة التحول الأكثر مأساوية في التاريخ المعاصر لتونس المستقلة. إذ شهدت وصول الإسلاميين إلى السلطة بعد أن استفادوا من الوضع ما بعد الثورة وما شهدته من إضعاف جهاز الدولة، وتراجع وشيطة الأجهزة الأمنية لتركيبة مناخ اجتماعي مناسب يفضي إلى تهيئة قاعدة اجتماعية طيبة لاستقبال خطاب متطرف على نحو غير مسبوق. فكانت اللحظة السانحة لـ «أسلمة الراديكالية» (روي Roy 2015). وقد أيد القادة الرغبة في فرض مثل هذا السياق من خلال تصريحاتهم التي اعتبروا فيها السلفيين المتشددون كأبناء لهم وظهر ذلك من خلال إطلاق سراح الجهاديين السابقين الذين وقع تصويرهم في صورة أبطال (تسيب الحكومات، الخيام الدعوية «). ولم تتأخر بوادر التطرف لتصبح ملحوظة من خلال انتشار المدارس الدينية والزيارات الرسمية للدعاة الوهابيين والخطب العامة للتحريض على العنف والكراهية، وتزايد عدد الجمعيات الخيرية المشكوك في مصادر تمويلها، مطاردة غير الصائمين، الهجومات على الأضرحة الصوفية، التراخي في ردع الهجمات التي تشنها "رابطات حماية الثورة"، وما إلى ذلك. ويلاحظ العنف في مجالات الحياة العامة على نحو خطير في الحياة المدرسية والأحداث الرياضية.

هذه المرحلة من التطرف الجامح التي أطرتها وسائل إعلام لا عهد لها بحرية التعبير مما أدى لتصاعد العنف السياسي و توج بالهجوم الدموي على السفارة الأمريكية في تونس يوم 14 سبتمبر 2012 إضافة إلى ثلاث عمليات اغتيال سياسي.

ووعياً بالمخاطر والتهديدات التي تعرضت لها تونس تولد لدى المواطنين وعي عام. كان الشعار واضحا: يجب إنقاذ تونس بأن نقول لا للراديكالية في جميع أشكالها قرر كل من الرجال والنساء على حد سواء وجميع الفئات الاجتماعية أن تجعل أصواتها مسموعة، وأن تثبت لهم رفض العنف. وكان من ثمّة سقوط حكومة الإسلاميين في السلطة بعد "اعتصام الرحيل" الذي بدأ على هامش الاغتيال السياسي الأخير في 25 جويلية 2013. منذ ذلك الحين، اتخذت أجهزة الدولة زمام المبادرة وأصبح أي شكل من أشكال التطرف العنيف يدان بالإجماع ويواجه من خلال إصدار القانون الجديد لمكافحة الإرهاب وغسيل الأموال (عدد 26 من 7 أوت 2015).

كما تم إنشاء هيئة أخرى لمكافحة الإرهاب وضبط إستراتيجية للتصدي له وهي قيد التطبيق.

### 3. ظاهرة التطرف في فرنسا

مثل ظهور التطرف في فرنسا تهديدا دائما للأمن واللحمة الاجتماعية. في السبعينات، تم التركيز في مجال مراقبة التطرف على الحركات السياسية ونشاطاتها المباشرة + الحركة السياسية المعروفة باسم "العمل المباشر - Action directe" وعلى الأعمال الإرهابية الباسكية. اصطلاح + على تعريف هذه



الجماعات بأعداء الداخل. في التسعينيات ظهر إرهاب الجماعة الإسلامية المسلحة في فرنسا، ولئن كان مأتاه من خارج التراب الفرنسي إلا أنه على صلة وثيقة بجزء من الشباب القادم عن طريق الهجرة. منذ عام 1975، وجدت فرنسا نفسها أمام مسألة الدين في المجتمع المعاصر التي تمخضت عن مسألة مكانة الإسلام في الحياة العامة. وقد أثارت هذه الإشكالية + مسألة الشباب المنتمين للأحياء الشعبية الذين ينجرفون إلى طريق الانحراف والتطرف العنيف، إلا أن المسألة أعمق من ذلك بكثير وهي تتصل أساسا بالهوية.

هذا ويعتبر التمييز الاثني - العرقي والجدل الدائر حول دور الدين في الفضاء العام من بين العوامل المهمة التي تسببت في انطواء المجتمع الإسلامي (الأمة). منذ الثمانينات، تعددت الإضرابات المتعلقة بقطاع السيارات التي نظمتها كل من الحركة الاجتماعية التي قادها "العمال الفرنسيون" و "العمال المهاجرون". ففي عام 1975، أقامت شركة رينو Renault غرفة للصلاة خاصة بالعمال المسلمين وذلك في مقر بولون بيلانكور Boulogne Billancourt ، ولكن في عام 1982 تم رفض هذا الطلب في مقر سيتروين Citroën فتم ربط هذه الاضرابات والمطالبات بالجانب الديني ليطلق عليها أرباب العمل إضرابات الشيعة "strikeschiites" في حين أن غالبية العمال المسلمين هم من السنة. واتهموا بأنه قد "تم التلاعب بهم من طرف أصوليين".

كما أن تاريخ الاستعمار ما زال حاضرًا ومؤلمًا، وكذلك قضية التمثلات المتعلقة بالإسلام، فكل ذلك يلعب دورًا في تراكم الشعور بالاستياء. وزادت وسائل الإعلام من تهيج الحركة في عام 1989 باندلاع قضية ارتداء الحجاب في المدرسة. لتصبح مسألة الهوية الفرنسية ساحة معركة جديدة ومحلا للخطب والأحداث العامة. ومنذ عام 2011 ، أصبح بالمكان التعامل مع الأحداث في الحياة السياسية والاجتماعية في إطار منظور التطرف وقد اعتبر هذا المصطلح المفتاح (جيبير 2017 Guibert) دون مراعاة ما شاب مفهومه الأساسي من غموض. وبصدور قانون سنة 2004 التفسير الذي يحظر حمل رموز دينية واضحة في المدرسة، أصبح مظهر وطريقة ارتداء الملابس مصدرًا للنزاع مما يعيد في الأذهان إحياء ذكرى نزع الحجاب القسري خلال الحرب الجزائرية (فانون 1959 Fanon). فأثارت مسألة العودة لممارسة الدين في الفضاء العام بعد ذلك طرح السؤال عن دين "الأخر وعن مدى القدرة على أن نعيش روح قانون 1905 المتصل بحرية الضمير وحرية الممارسة الدينية .

منذ الهجمات الأخيرة في فرنسا، وضعت عدة مشاريع تهدف إلى تطوير الحس النقدي لدى الشباب والكهول. إن المناخ الدولي المتوتر المتصل بالصراعات الدينية وتزايد وتيرة الإرهاب في فرنسا وخارجها، أدى لإحياء الحاجة إلى ضرورة أن تؤسس ممارسة متخصصة لهذه الحركة وتعمل على تبادلها فيما بينها وتبنيها. وتستند خطط السيطرة والحد من هذه الظاهرة على ركيزة تقوم على 5 محاور (الخطة الوطنية للحكومة للحد من التطرف 2018).

## ● حماية العقول من الانزلاق نحو التطرف

- تطوير العقليّات في مواجهة التطرف
- تحقيق التكامل بين مرحلتَي الكشف والوقاية
- فهم تطور التطرف واستباق خطاه
- إضفاء الطابع الاحترافي على أداء المتدخلين المحليين وتقييم الممارسات
- تكييف مرحلة إنهاء الالتزام المتطرف.



في فرنسا يقترن مصطلح "التطرف" أساسًا بالعنف المتصل بالجهاد . وترتكز جهودات الوقاية على إنهاء اعتماد العنف لتجيب لاحقًا على قضايا التطرف. تتمثل جهودات القطع مع التطرف في حمل شخص متطرف على التخلي كليًا عن قناعاته المتطرفة. تنص القراءات النقدية كذلك أنه من المستحسن + هنا الحديث عن التخلي عن التلقين أو إنهاء الاستقطاب أو الأدلجة. " (لو ديفين 2017 Le Devin) وضعت فرنسا هياكل مختلفة لمحاربة التطرف:

- مركز الوقاية من الانحرافات الطائفية المتعلقة بالإسلام: تأسس عام 2014 من طرف Dounia Bouzar حصيلة برنامج أعماله قد تم الاعتراض عليه وتخلت الجمعية عن التمويل المتأتي من الدولة في بداية 2016 .
- دار الوقاية للعائلات: أنشئت في سبتمبر 2014 في أولناي سو بوا Aulnay-sous-Bois تشرف عليها سنية إملول وهي تستند لمقاربة ثقافية + على خلاف دنيا بوزارة Dounia Bouzar التي تعتمد على إرشاد السلفيين المصطلح عليهم ب"الزاهدين". لم تجدد الحكومة عقدها في نوفمبر 2015
- المرافقة المكثفة للأشخاص بالسجون تأسست في صيف عام 2016 ، وكانت جمعية APCARS المسؤولة عن البرنامج الذي ضم 14 شخصا مدان أو متهم
- الأشخاص المدانين أو المتهمين بالانتماء لتنظيمات إرهابية أو في قضايا القانون العام والذين اعتبرتهم إدارة السجون من بين الذين تمت أدلتهم للانزلاق نحو التطرف (Jacquin 2017)
- مراكز الإدماج التابعة للدولة

تم افتتاح المركز الأول في شهر سبتمبر 2016، في بومونت-إن-فيرون Beaumont-en-Véron ، في آند Indre إيه لوار Loire وكان ذلك تحديدا بالمرافق التي كانت تابعة سابقا لمركز التعليم والتدريب المهني في بونتورني Pontourny ، وهو مركز سابق لاستقبال اللقصر والبالغين المعزولين والأجانب والشباب الفرنسيين الذين تم إيواءهم من طرف الرعاية الاجتماعية للأطفال. تم تحويل هذا المركز إلى "مركز إعادة إدماج " ثم "مركز للوقاية من التطرف". الهدف الرئيسي لمراكز نبت التطرف هو التكفل بالمتطوعين الراغبين في القطع مع التطرف في أماكن مفتوحة. تمتد مدة الإحاطة 10 أشهر في المركز المراقب بتقنية الفيديو طيلة 24 ساعة في اليوم، وتسعى الدولة من خلال هذه المراكز إلى تفكيك نظرية المؤامرة التي تعدّ النظرية المسيطرة على أذهان الشباب المتطرف. يمكن فقط للأشخاص المندرجين ضمن المستوى الأول الالتحاق بهذا المركز، أي الأشخاص غير المنتمين للفئة "س" S، الذين لم ينساقوا نحو الجهاد وغير المعرضين لتتبعات قضائية سارية. سنة 2016، بلغ عدد المتطوعين ثمانية أشخاص وانحدر هذا العدد إلى واحد فقط في أوائل عام 2017 (Boutry 2017). تم لذلك إغلاق المركز الأخير في 27 جويلية 2017. وما زال الجدال قائما بخصوص هذه المراكز إلى غاية اليوم.

تبقى نتائج برامج الحد من التطرف محل جدل كبير. يتحدث البعض عن الافتقار إلى برامج للحد من التطرف بسبب اندفاع الحكومة نحو ضخ الأموال في الحد من التطرف. حتى أن عضوة مجلس الشيوخ إستر بنساسا Esther Bensassa قد وصفت ذلك ب"الفضل الذريع" (Bensassa 2017). في الوقت الراهن، لا تزال خطة العمل الحكومية الهادفة لإعادة إدماج الذين انزلقوا نحو التطرف قيد التطوير.

## المحور الثالث: التوعية والكشف



لا يحدث التطرف بين ليلة وضحاها. إن الدمجعة الأيديولوجية والالتحاق بالجماعات المتطرفة هي عملية يستتبعها في أحيان كثيرة تغيير واضح. لذلك، يعدّ من المهم التعرف على بعض الإشارات التي قد تشير إلى التطرف. وقلنا "قد" ليس من باب الاعتباط إذ لا يمكن دائماً تفسير العلامات والسلوكيات والأقوال على نحو لا لبس فيه. فعلى سبيل المثال لا الحصر، العديد من الإشارات ذات الصبغة الدينية المهمة بالنسبة للجماعات المتطرفة تعدّ مهمة كذلك بالنسبة للمسلمين الآخرين. فلا يعدّ من الوجاهة بما كان الاستناد إلى مجرد إشارات تتعلّق بالمظهر الخارجي أو اللباس للجزم بالانزلاق للتطرف. ينبغي التحليّ بالحذر+ والتمييز في التعامل مع هذه الوضعية "ففي حين يظهر على البعض جميع الإشارات الخارجية التي توحى بالتطرف فإن آخرين لا يلوح عليهم سوى بعضها. لا يمكن الجزم بذلك من خلال علامة واحدة دالة. إن اقتران عوامل محدّدة ومؤشرات دالة وخاصة القطع مع السلوك المعتاد هو ما ينبغي أن يحذّرنا" (Young 2016).

تقترن المؤشرات التالية بالمناهج المعتمدة. وتتعلق المسألة بمحاولة فهم الظاهرة من خلال طرح تساؤلات لا من خلال التهويل، والسعي إلى إرساء الحوار لا الإدانة وإيلاء الأهمية بدلاً من إثارة الصخب. تكمن هنا أحد الاحتمالات لفهم ما يدفع الشباب نحو التطرف والتعامل معهم دون وسم. ما يمكن ملاحظته أخيراً، أن ما يلوح من إشارات ومظاهر خارجية ذات صبغة دينية ينبغي أن يكون دائماً دافعاً نحو الحوار.

## 1. العلامات الخارجية

### العلامات ذات الصبغة الدينية

يعد ارتداء الحجاب جانباً مهماً من جوانب الاعتقاد الديني، غير أنّه يمكن أن يكون كذلك تماشياً مع الموضة والأناقة. وينطبق الشيء نفسه على اللحي والملايس التقليدية. ولا ينبغي ذلك أن يتمظهر التطرف في علامات ظاهرة. هذه العلامات الأخيرة تمثل بالنسبة للعديد من السلفيين دليلاً على الانتماء لجماعة المؤمنين وتنزّها عن الانتماء لوسط "الكفار".

لكنّ هذا الموقف ليس محلّ اجماع لأنّه حصل دائماً في الماضي أن عمد متطرفون الى التخفيّ وعدم الجهر بمواقفهم رغم مظهرهم الذي لا يوحي بالتطرف. عموماً ومن حيث المبدأ لا يمكن اعتبار مظاهر التغيير الخارجي كافية وحدها للحكم بالتحاق شخص ما بصفوف المتطرفين. إنّ المواقف والسلوكيات هي الأكثر دلالة على التطرف.

### التقييم المبالغ فيه وصرامة الحرص على الطقوس

تضطلع بعض الممارسات الدينية من قبيل الطقوس بدور مهم في أغلب الأديان والحال ذاته في الإسلام. فالطقوس، فضلاً عن قواعد اللباس والرموز الدينية واللغة تعمل من خلالها السلفية على التأكيد على التفرد والنأي بنفسها على الآخرين. فيتم إيلاء الطقوس أهمية بالغة بما يقتضي متابعة صارمة و متشدّدة. ويعد الالتزام الصارم بهذه القواعد دليلاً على أن المرء يعيش الدين حقيقة".

## 2. المواقف

### نبذ التعددية/اختلاف الآخر

يعدّ رفض التعدد الديني والثقافي والسياسي سمة مشتركة لدى جميع التيارات الإسلامية. ويعبّر الشباب المنضوي لهذه التيارات عن نفس الأيديولوجية والمنظور للأشياء. لا تعتبر التعددية واختلاف المواقف



وأساليب الحياة في هذه الحالة وضعا طبيعيا وإنما تعبير عن الخروج عن الدين الحق وخطر يهدد الوحدة لأنه بالنسبة للتيارات الإسلامية لا وجود سوى لعقيدة واحدة حقيقية. الآخرون ليسوا مختلفين فحسب بل هم أيضا مخطؤون. ويتجلى هذا في الرفض القاطع للأراء الأخرى التي تعد محل احتقار وتنديد وغير أخلاقية وأثمة. لوحظ الموقف نفسه في التطرف اليميني الذي يتغذى من نفس الفكر النخبوي والانفصالي. فجميع الأشخاص الذين يسيؤون فهم الأيدولوجيا أو لا يفهمونها مطلقا هم جاهلون وجب "إنقاذهم"، وهذا يعني أنه يتوجب أن نشرح لهم المسار "الصحيح" للأشياء.

### بداية جديد / عودة / تحوّل

غالباً ما يصف الشباب المتشدّد هذا التطور بالبداية الجديدة أو بالتحوّل إلى العقيدة "الحق". إنّ رؤيتهم الجديدة للعالم والمعايير الجديدة التي يضعونها هي بمثابة "ساعة الصفر"، التي تمثل قطعاً جذرياً مع حياتهم السابقة ويتلازم ذلك مع ازدياد فاصل للأفكار والمصالح والتوجهات التي كانوا يدافعون عنها.

### نظريّة المؤامرة

تلعب نظريّة المؤامرة دوراً مهماً في حياة الجماعات المتطرّفة. ففكرة وجود مؤامرة خالدة يحوكها الآخرون ضدّ طائفتهم توازي أيديولوجيات أخرى تعلي من أصلاتها وتقلّل من شأن الآخرين، سواء كانوا إسلاميين أو شعوبيين أو حركات يمينيّة متطرّفة. إنّ التمثّل التصوري لل"عدو" أمر لا مناص منه. وقد يتخذ هذا العدو صورة الدولة، موضوع القضية أو مجموعة محدّدة وغير ذلك.

### التفكير وفق موازنة «نحن» و «هم»

تبنى وجهة نظر العالم الإسلامي من خلال التفكير في إطار مجموعات متجانسة، + يتمّ فيها وضع ال"نحن" و ال "هم" في وضع متقابل. ويظهر ذلك على سبيل المثال، في فكرة مردّها أن "الغرب" مادي، يقوم على نظريّة الفردانيّة وهو ضد "المسلمين" الاجتماعيين الذين يؤمنون بالحياة الجماعيّة. ويتراءى ذلك في الطرح الذي يؤكّد أنه لا وجود سوى لنسخة واحدة من الإسلام يعيشه جميع المسلمين على نحو مماثل. والحال ذاته بالنسبة للمتطرّفين اليمينيين الذين يسقطون على "الآخرين" أيضاً صورة المزيّفين الذين يلحقون ضرراً بالتوازن الاجتماعي والاقتصادي الى غير ذلك وهو السبب الأساسي الذي يحثّ المتطرّفين على ضرورة الانتصار على هؤلاء المخادعين.

### رفض الديمقراطية والقواعد والقوانين التي وضعها الإنسان

ينتشر الارتباب في وسط الشباب حول الديمقراطية والنظام السياسي سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. وفي التيارات المتطرفة وخاصة في صفوف الإسلاميين، لا يكمن الانتقاد في القصور الذي يعزو الهياكل السياسية القائمة، ولكن في الرفض التام لفكرة " أن تتبع كل القوى من الشعب." بالنسبة للحركات الدينية المتطرفة فإن الله وحده هو الحاكم. وترتبط هذه الفكرة بالرغبة في العيش وفق قواعد موحّدة تحرّنا من مسؤوليتنا الخاصة. بالنسبة للحركات اليمينية المتطرفة، فإن "القمع" المنبثق عن مؤسسة يصطلح عليها ب"الدولة" غالباً ما يكون محلّ تساؤل أو مرفوضاً أصلاً.

### 3. السلوك

#### الانعزال عن العائلة والأقارب والمجتمع

يمكن أن تؤثر المعتقدات الدينية على السلوكيات ومثال ذلك أنه فيما يتعلّق بالعلاقات بين الجنسين تعدّ المصافحة بين الرجال والنساء أمر غير معتاد في بعض البلدان الإسلامية. يحترم عدد من معتنقي الديانات الذين يعيشون في أوروبا هذا الموقف وهو ما يثير في أحيان كثيرة صراعات بين ثقافية أو ترتبط بتأويلات



دينية. ويعزى ذلك غالبًا إلى الأدوار التقليدية التي كانت توزَّع بحسب الجنس ولكن يمكن أن يكون ذلك علامة على تزايد المسافة الفاصلة في بيئة غير إسلامية. يعدّ هذا التحفظ سمة السلفيّ، فالتعامل مع غير المسلمين وكذلك مع المسلمين الذين يعيشون الإسلام على نحو مغاير يعتبر خطراً محتملاً. وفي أقص الحالات يعني هذا انطواء كاملاً على طائفته "الخاصّة" لتجنب أي محاولة يمكن أن "تلوّث العقيدة". وقد يؤدّي ذلك في بعض الحالات إلى حطّ من شأن الدين بشكل عام. وتجد فكرة الحفاظ على نقاء المجموعة كذلك رواجاً لدى الحركات اليمينيّة المتطرّفة التي تتجلّى في نقاء الروابط الدمويّة أو أصالة الهوية.

### الضغوط الاجتماعيّة

يتجلّى ذلك لدى الحركات الإسلامية بالرغبة في إقناع الآخرين بصحة دينهم. وتعتبر "الدعوة" التي تعني «الدعوة إلى الإسلام»، لدى السلفية واجبا على كل فرد. ويظهر ذلك على سبيل المثال، في المحاولات الشديدة لحضّ الآخرين على ارتداء الحجاب أو الصلاة أو الصيام. فيصبح الضغط الاجتماعي خرقاً لخصوصيّة الآخرين الذين يرفضون التصرّف على النحو الذي تفرضه الجماعات المتطرّفة التي تدّعي اتخاذها الطريق المستقيم أو اكتسابها للحقيقة.



## المحور الرابع: مواضيع الخطابات المتطرفة وأساليب الردّ عليها

إن التيارات المتطرفة (دينية كانت أو لا دينية) تشترك في تقديمها لإجابات سهلة ( "جيد" / "سيئة"، "أسود" / "أبيض"، "حرام" / "حلال") تسهل الحياة اليومية في مجتمع بات من الصعب فكّ رموزه تتمحور المسائل المطروحة حول القيم والمعايير الاجتماعية، والأدوار التي يضطلع بها الجنسين أو ببساطة إدارة الصراعات الاجتماعية التي لا توجد لها حلول بسيطة. وبالتالي، فإن اقتراح إيجاد إجابة واضحة لقضية التمييز بين الجنسين يعدّ من بين أحد الأسباب التي تجعل كلا من النساء والرجال يتجهان إلى هذه التيارات:

إن الرؤية المحدودة للاتجاهات المتطرفة تعفي الفاعلين من تحمل مسؤوليتهم الخاصة. ويتعلّق الأمر بالقرارات / الاختيارات التي ترتبط في كثير من الأحيان بالصراعات العائلية أو تلك التي تتعلّق بالهوية والخلافات الشخصية سواء في الأسرة أو المجتمع. يضاف إلى ذلك وعد بالالتحاق بمجتمع قوي ومتحد (وهو ما يصطلح عليه بالقوم أو الشعب في اليمين المتطرّف أو الأمة في التطرف الديني الإسلامي) من خلال إقامة روابط الحقيقية وتوفير دعم ملموس. إن هذه الطائفة المزعومة المتكوّنة من الرفاق أو "الإخوة" و"الأخوات" تمثّل بديلاً عن العائلة ويُنظر إليها أيضاً كمنبع تمارس فيه الكفاءة والتمكين الذاتي. أن أكون عضواً في إحدى هذه المجموعات، إذا أنا موجود. وأنا قادر على إثارة ردود فعل لا يمكن أن أثيرها بغير تلك الوسيلة. إن الأيديولوجيا السلفية تدعو إلى تحقيق المساواة الإلهية التي لا شكّ ولا جدال فيها.

تقترب الدوافع الشخصية والدينية لتهيئ الطريق نحو بداية جديدة للانضواء للتطرّف. إن الرّهان الذي تضعه الجهات المتطرّفة هو أن تقدّم للشباب والكهول، الذين غالباً ما تكون لهم سوابق (على سبيل المثال، بسبب النزاعات العائلية أو الفشل المدرسي أو جرائم أو عنف) - فرصة (إعادة) بدء "حياة جديدة" وتجاوز "ذنوبهم" القديمة أو فشلهم الشخصي.

### 1. النصوص الدينية كمراجع مطلقة

إنّ البحث عن الطمأنينة المطلقة قد يمثّل سبباً للجوء الأشخاص الذين هم في وضع هشاشة للنصوص الدينية حتّى يعزّزوا الفكر المساند لوجود إجابات مسبقة لتساؤلاتهم أو دليل متّبع ينظّم حياتهم اليومية. (ال صورة 1: "الإسلام بسيط، الحضارة معقّدة") بالنسبة لبعض الشباب المتطرف يتعرّض كل من القرآن والسنة لجميع القضايا السياسية أو الدينية التي قد يواجهها المؤمن من أجل الحياة على وجه الأرض. ويبدو أن هيمنة هذين المصدرين على أي مصدر آخر لا مناص منه من منظور التيارات المتطرفة. (الصورة 2: "اسمع وأطع!"). يزعم أيضاً الأشخاص المتطرّفون بأنهم يمتلكون حصراً إمكانية تفسير+معاني النصّ الدينيّ وفهم جدلية هذين المصدرين. فباعتبار المصدر الإلهي للقرآن والسنة، فهما يعتبران إجابة على كل "الرسائل الكاذبة" وأداة أو علاج ملائماً يثني عن تدنيس المقدسات. إنّ الرسائل الدينية المتطرفة التي تمّ التبشير بها واضحة، في حين أنه من الصعب فهم ثقافة المجتمع فالإسلام سهل التطبيق. إن ما يدعون له هو الاكتفاء بالإصغاء والطاعة.

في الواقع، تحاول بعض الجماعات السلفية ببساطة أن تثبت أن الخطابات المتطرّقة المتّصلة بالإسلام غالباً ما تكون سلبية. بالنسبة لهم، نتج عن ذلك أن الرأي العام غالباً ما يميل إلى التحقير من شأن هذا الدين الذي يمثل الطريق الإلهي العادل. تعي الجماعات السلفية الصعوبات التي يواجهها الشباب في المجتمع عندما يتعلق الأمر بانتمائهم الثقافي وهويتهم المرتبطة بالإسلام أو غيره. من ثمة تلوح الرسالة في صورة الدعاية التي تؤكد أنه لا يوجد فصل في الإسلام وأن كل الناس متساوون. تتمحور أفكارهم في إقناع الشباب بأن انتماءهم (الثقافي أو الهويّاتي أو الديني) لا يمكن بتاتا التشكيك فيه في المجتمع الإسلامي (على حدّ تصوّر السلفيين) خلاف المجتمع الحالي الذي لا يدّخر جهداً في تصنيفهم.

لذا ومن أجل مجابهة الخطاب السلفي، من المهم إبراز ثراء التقاليد والتاريخ الإسلامي وتعدّد نطاقهما وأبعادهما، ولا غنى أيضاً عن التطرّق لما يشوبهما من ارتياب وغموض وذلك من خلال فتح آفاق التعلّم أمام الشباب بإبراز تنوّع التأويلات والقراءات (الصورة 3).



الصورة 3: "أنا سنّيّة! أنا شيعي! أنا سنّيّة-شيعيّة!"



الصورة 2: "اسمع وأطع"



الصورة 1: "الإسلام سهل (الفهم) لكنّ الحضارة معقّدة"

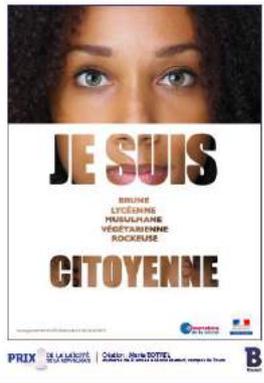
## 2. هوية الشباب المتأثري من الهجرة وانتماؤه محلّ تساؤل

سواء كان ذلك في فرنسا أو في ألمانيا، فإن الشباب من ذوي الأصول المهاجرة يواجهون نفس التحديات تقريباً فيما يتصل بموقعهم في بلدهم المضيف. في الواقع، يتعرض هؤلاء الشباب للتمييز العنصريّ يوميّاً في مختلفة المواقف الحياتيّة (البحث عن عمل، استئجار منزل، في المدارس، في السجن، وفي معظم المجالات الهيكلية). غالباً ما تكون الحجج المستمّدة من الخطاب حول العلمانيّة والوطنية معادية لعلامات الانتماء الديني، وعلى وجه الخصوص تلك المرتبطة بالإسلام. ومن ثمة، تنشأ الفجوة الثقافية بين المسلمين من جهة وبين الجهات الفاعلة الأخرى المؤسسة للجمهوريّة من جهة أخرى. ينتج عن ذلك أشكال وصور واسمة اجتماعياً (الصورة 1).

الصورة المقترحة أسفله تشير إلى خطر يهدد القيم الجمهوريّة المذكورة. يستجيب المتطرفون دينيّاً لردود فعل الرفض الاجتماعيّة بإلقاء خطاب مشابه لنظرائهم (الأطراف الفاعلة في النظام للجمهوري) وباستبعاد غير الأوفياء للدين (متلما يعتبرونهم) وذلك عن طريق التسوية بين المؤمنين ومنع أي تنوع بينهم (الصورة 2).

يوضح الجدل القائم بعد الهجوم الذي شُنَّ على صحيفة شارلي إبدو Charlie Hebdo في جانفي 2015 الحالة الذهنية عند تردد العديد من الشباب الفرنسيين أو الألمان للموافقة على إعلان حملة " أنا شارلي - « Je suis Charlie » وهو ما أثار صدمة الكثيرين. إنَّ هذا الإعلان الذي أثار استخفافا بقيم الجمهورية لم يحض بموافقة الجميع. فقد نشر البعض شعارات "لست شارلي" - وبلغ الأمر بأن نشروا شعار "أنا مسلم" - على شبكات التواصل الاجتماعي لإظهار الفجوة بين الأقلية المسلمة والأغلبية الفرنسية أو الألمانية. إنَّ هذين الشعارين الأخيرين لم يصدرا عن جماعات متطرفة. رغم أنهما يتناسبان مع خطاب الضحية الذي تتسم به الأيديولوجيات المتطرفة.

لمجابهة هذا الخطاب المتطرف حول هذه النقطة، من المهمّ هنا أن نفتح باب النقاش حول المشاكل المتعلقة بالتمييز والرفض الاجتماعي الذي يواجهه المهاجرون في المجتمعات الأوروبية، وأن نفكك الطروحات الثنائية التي تقوم على "نحن" مقابل "أنتم" (الصورة 3) وذلك بالاعتراف بحقيقة ما يحدث من تمييز. يرتكز الجهد في الوقاية من التطرف على الإشارة إلى أشكال التمييز هذه ومعالجتها دون تعزيز الآراء المسبقة حول طائفة ما مهما كان انتماؤها إلى أن يتم القضاء عليه على نحو فعال. فبمجرد فتح مجال للتبادل بين الشباب الذين يشتركون في معاشنة هذه الأشكال من العداء فإنَّ ذلك يعزز من قدرتهم على مجابهة التطرف. علاوة على ذلك، من المهم - خلال سيرورة الوقاية من جميع أشكال التطرف - أن نجعل الشباب مدركين لتعدد جوانب الهوية (الصورة 4) ومقتنعين ب أننا نستطيع تشارك القيم الأساسية للجمهورية والديمقراطية في الوقت الذي ندين فيه الأشكال التمييزية ("أنا تشارلي وأنا مسلم").



الصورة 4



الصورة 3: "نحن مجتمع ممتد (أمة)"



الصورة 2:



الصورة 1: "الإسلام لا يمثل جزء من ألمانيا" ((وزير الشؤون الداخلية الألماني، هورستسيهوفر (Horst Seehofer)

### 3. مواجهة غموض الديمقراطية والمجتمع التعددي

إنَّ المتطرفين (سواء اتَّخذ التطرف طابعا دينيا أو لا) يضعون مبادئ الديمقراطية في كثير من الأحيان محل شك، فرفض هذه القيم المزعومة يبرره حقيقة أنَّ القوانين الإلهية (أو "الطبيعية" بالنسبة للتطرف اليميني) لا يمكن استبدالها بأي حال من الأحوال بقوانين من وضع البشر (الصورة 1). يستند هذا الاعتقاد إلى العجز الحقيقي أو المفترض في المجتمع (الصورة 2). لأنه إذا كانت الديمقراطية هشة وضعيفة الركائز وقابلة للفساد فإن كلام الله خلاف ذلك واضح وعادل. إن تطبيق مثل هذا النظام الديمقراطي الذي أثبت فشله في العديد من البلدان هو مثال ملموس على عدم قدرته على تلبية جميع احتياجات الإنسان. فوفقا لهذه المجموعات تعدّ الديمقراطية نظاما حزبيا يخدم مصلحة مجموعة محدّدة مسبقا.

يواجه العمل من أجل الوقاية ضدّ مختلف أشكال التطرف تحديا متمثلا في إشراك جميع أطراف المجتمع المدني لتطوير الحياة الاجتماعية والسياسية وضمان التعددية والمصالح ووجهات النظر المختلفة.

لا تقتصر الديمقراطية على الحياة السياسية، بل تشمل كذلك المشاركة الفاعلة في الحياة اليومية، بما في ذلك التعليم المدرسي والمواطنة. فإشراك الشباب في الهياكل المؤسساتية (على سبيل المثال المدرسة والمراكز الاجتماعية) وكذلك في الحياة الاجتماعية والعمل داخل الأحياء يتيح لهم تجربة الدفاع عن مصالحهم ووجهات نظرهم. يمكن أن يتعلم الشباب التعبير عن اهتماماتهم والنقاش للدفاع عن خياراتهم وتحمل مسؤوليتها. إن هذه المشاركة الفعالة تعزز التمثيلات الإيجابية للشباب لبيئتهم الاجتماعية وتفادي الانجراف وراء التيارات المتطرفة. فالسماح للشباب بالتعبير عن آرائهم والانخراط في بيئتهم التعليمية يقلل من خطر الانعزال والاعترا ب.



الصورة 2: "الديمقراطية؟ لا شكر!"



الصورة 1: "قوانين الله أم قوانين الإنسان"

#### 4. اقتراح قراءة مبسطة: نظرية المؤامرة

إنّ نظرية المؤامرة هي سمة من السمات المميزة للأيديولوجيات المتطرفة. وفقا لهذه النظرية يمكن تفسير الكثير من الأحداث غير القابلة للتفسير من خلال الأثر الذي تحدثه قوة خفية أو مجموعة من النخب ("الإمبريالية"، "الصهيونية"، "الماسونية") تدافع نظرية المؤامرة عن وجود هذه الاتجاهات التي كثيرا ما تحاول شرح سير العالم من منظور مبسط. لذلك يصعب العمل + في مجال الوقاية من خطر مثل هذه الأفكار. وهو يتمثل في تطوير الحس النقدي لدى الشباب كي يضع كل فكرة غير متماسكة أو متشددة محلّ تساؤل.

#### 5. مسألة الأجناس/ النوع الاجتماعي

يحاول التطرف الديني - مثل غيره من أشكال التطرف - أن يضبط بشكل صارم أدوار اجتماعية مخصصة جنسياً وجامعة تقوم على ما يسمى بالنظام الطبيعي أو الإلهي المحدد لكلّ جنس. هذه الأدوار التي تنسب إلى كل جنس مغرية لأنها تفتقر إلى الغموض مما يعفي الشباب في كثير من الأحيان من الاختيار بين الإمكانات المختلفة المتاحة في المجتمع الحديث، سواء أن تكون المرأة أمّا بغضّ النظر عن مسيرتها المهنية أو أن تشكل أسرة يرأسها وليّ واحد أو + أن تكون زوجة أو أمّ في البيت، أو معارضة جميع هذه القرارات أو غيرها. (الصورة 1 + 2). يلعب تأثير الوالدين والأصدقاء أو العائلة أو بكلّ بساطة البيئة الاجتماعية دوراً مهماً في عملية صنع القرار.

ففي الحركات المتطرفة - سواء كانت دينية أو سياسية - تعتبر الذكورية مسألة محورية عند التعامل مع المسألة الجنسانية. بالنسبة لهذه التيارات، يتطابق مفهوم الذكورة مع فكرة القوة الغالبة التي عادة ما يرمز لها بين صفوف السلفيين بالأسد. والتي يخلّدون من خلالها صورة المحارب المغوار المسؤول عن المجتمع نافيين أي لحظة ضعف سادت خلال حياتهم السابقة.

يتمحور العمل الرامي إلى الوقاية من أشكال التطرف إلى تفكيك هذه الأشكال التصويرية للذكورة والأنوثة الممزجة من خلال الدعاية، و العمل على إبراز تنوع أدوار الجنسين في المجتمعات المعاصرة.



الصورة 2



الصورة 1

## 6. ازدواجية الأخلاق الجيوسياسية

إن الحجج التي يستند إليها المتطرفون دينيا حول الوضع الجيوسياسي يعود منشؤها إلى الصراعات المناهضة للاستعمار المندلعة في سنوات 1920 وصولا إلى الحراك النضالي من أجل تحرير فلسطين والحرب في سوريا والعراق. بل إنها تتجاوز القضايا الدينية وتنتقد النظام الإمبريالي الذي من تعدّه معادياً للمسلمين في جميع أنحاء العالم. من ثمة يُنظر إلى بعض الأعمال الإرهابية من قبيل تفجيرات باريس التي حدثت سنة 2015 على أنها وسيلة دفاع جِراء الاضطهاد الغربي (الصورة 1). إن التيارات المتطرفة تناهض "الأخلاق المزدوجة" التي يتّسم بها الغرب. فهي تساند الفكر القائل بأنّ القمع في الدول التي تعيش حالة حرب (العراق، فلسطين وغيرها) والمساعدة التي تتلقاها هذه الدول مصدرها واحد وهو "الغرب". بالنسبة للحركات المتطرفة غالبا ما تختبئ المصالح الغربية في العديد من البلدان وراء غايات إنسانية. ولهذا السبب لا يمكن معالجة هذه القضية إلا في نطاق جغرافي سياسي أوسع نطاقا من المستوى الوطني.

في إطار العمل من أجل التوقّي من مختلف أشكال التطرف، يمكن أن نتيح للشباب فرصة لإعادة قراءة التاريخ لمعالجة قضية القوى العالمية وسياساتها وهيمنتها وتأثيرها. وبعد ذلك عملا مهمّا خاصّة عندما يكون لدى هؤلاء الشباب صلة بهذه القوى الغربية أو يندردون من دول لها ماضٍ مشترك يجمعهم بها (مثلا المغرب العربي نتيجة للاستعمار أو ليبيا والعراق وغيرها نتيجة سياسات التسلّح). إن معالجة المسألة الأخلاقية أو التزام الغرب ومسئوليته يمكن أن يساعد الشباب على التعبير عن عدم رضاهم وقلقهم من هذه الأنظمة الغربية. كما يمكن أيضا تسليط الضوء وتبادل وجهات النظر لإدراك تواطؤ ما يسمى بالبلدان المضطهدة.



الصورة 1



## مسرد المصطلحات: اعتماد مصطلحات مشتركة

### ➤ الإرهاب

"مشروع فردي أو جماعي يهدف لإحداث اضطراب شديد في النظام العام عن طريق التخويف أو الترويع"  
القانون الجنائي الفرنسي، التجريم 1986.

### ➤ التطرف/التطرف العنيف

عملية الالتزام غير المشروط بعقيدة أو إيديولوجية متطرفة يمكن أن تضيء الشرعية على اللجوء إلى العنف كوسيلة للتأثير.

### ➤ الأصولية / التعصب الديني

يجب أن يخضع كل من المجتمع والسياسة إلى إملاءات دينية ورفض للعلمنة عدى عن القراءة الحرفية للنصوص المقدسة التي تمنع أي تكيف مع السياق الحديث.

### ➤ التطرف الديني (أو المغالاة)

هو مصطلح يستخدم لوصف عقيدة أو موقف (سياسي أو ديني أو عقائدي) يتناقض مع القيم والحقوق الأساسية التي يرفض أتباعها أي تغيير أو مقارنة أخرى تخالف تلك التي تملئها عليهم عقيدتهم.

### ➤ الجهاد

فكر ديني استبدادي ديكتاتوري شمولي يخوض صراعا إلزاميًا ضد "الكفار" يكافأ عليه بعد الموت مبني على نسخة مزعومة من الإسلام

### ➤ السلفية

الحركة الدينية للإسلام السني التي تدعو إلى العودة إلى القيم والممارسات الساري بها العمل في المجتمع الإسلامي في زمن النبي محمد وخلفائه الأوائل

### ➤ الانحراف الطائفي

يتعرض له مجموعة منظمة أو فرد واحد وهو جملة الضغوط أو الأساليب التي تضع الشخص تحت سيطرة عقلية. يكون خلاله الشخص الضحية محروما من إرادته الحرة.

### ➤ الاستقطاب السياسي

الاستقطاب السياسي هو العملية التي تجعل الشعب أو الرأي العام ينقسم حسب قربته النسبي إلى الفكر اليساري أو اليميني أخذا في عين الاعتبار جوانبه الراديكالية و الميل إلى التطرف على حساب الاعتدال..



## قائمة المراجع المراجع بلغات أجنبية:

- Abdelasiem El Difraoui et Milena Uhlmann, *Prévention de la radicalisation et déradicalisation : les modèles allemand, britannique et danois*, Politique étrangère, vol. hiver, n° 4, 2015
- Bensassa Ester, *Le lavage de cerveau est un mythe*, 2017
- Benslama Fethi, *Un furieux désir de sacrifice*, Seuil, 2016
- Birnbaum Jean, *Un silence religieux. La gauche face au djihadisme*, Seuil, 2016
- Boutry Timothée, *Déradicalisation : l'Etat accusé d'amateurisme*, leparisien.fr, 23 février 2017.  
En ligne :
- Bouzar Dounia, *Désamorcer l'islam radical. Ces dérives sectaires qui défigurent l'islam*, Editions de l'atelier, 2014
- Bremer Ian, *The top 5 countries where ISIS gets its foreign recruits*, time.com, 14 April 2017
- Bronner Gérald, *La pensée extrême. Comment des hommes ordinaires deviennent des fanatiques*, PUF, 2015
- Conesa Pierre, *Quelle politique de contre radicalisation en France ?*, 2014
- Crettiez Xavier, *High risk activism. Essai sur le processus de radicalisation violente*, revue Pôle Sud, 2011
- Ducol Benjamin, *Devenir djihadiste à l'ère numérique, une approche processuelle et situationnelle de l'engagement djihadiste au regard du web*, Département de Sciences Politiques, Université Laval, 2015
- Ebner Julia, *The Rage: The Vicious Circle of Islamist and Far-Right Extremism*. London: I.B. Tauris, 2017
- Erelle Anna., *Dans la peau d'une djihadiste*, Robert Laffont, 2015
- Fanon, Frantz, *Chaque nouvelle femme algérienne dévoilée annonce à l'occupant une société algérienne aux systèmes de défense en voie de dislocation, ouverte et défoncée. L'an V de la révolution algérienne*, Paris, La Découverte, 1959 (rééd. 2001)
- Fielitz, Maik, Ebner, Julia, Gruhl, Jakob, Quent, Matthias, *Hassliebe: Muslimfeindlichkeit, Islamismus und die Spirale gesellschaftlicher Polarisierung*. Jena/London/Berlin: Institut für Demokratie und Zivilgesellschaft, 2018.
- Guibet Caroline, *La radicalisation : Individualisation et dépolitisation d'une notion*, Presse Universitaire, 2017
- Hamza A, *Le contrat kairouanais. Une exception avant-gardiste*, La Presse de Tunisie, 13 juin 2011
- Henablia Faik, *La radicalisation dérive funeste mais non illogique de l'Islam*. Kapitalis, 7 juillet 2017



- Hervieu-Leger Danièle, *La religion en miettes ou la question des sectes*, Calmann-Lévy, 2001
- International Centre for Counter-Terrorism, *The Foreign Fighters Phenomenon in the European Union*, ICCT Research Paper, Le Hague 2016.
- Jacquin Jean-Baptiste, *La justice tente la déradicalisation en dehors des prisons*, le Monde 2017
- Janson, Matthias, *Rechte Gewalt in Deutschland*, de.statista.com, 27août2018
- KhosrokhavarFarhad, *Radicalisation*. Paris : Maison des Sciences de l'Homme, 2014
- Le Devin Willy, *La politique de déradicalisation étrillée par deux parlementaires*. Liberation.fr, 22 février 2017
- Mission interministérielle de vigilance et de lutte contre les dérives sectaires (MIVILUDES), *Guide de l'agent public face aux dérives sectaires*. La documentation française, 2012.
- Muller Coralie, *Enquête sur l'Etat Islamique*. Edition du moment, 2015
- Neumann Peter, *Radikalisierung, Deradikalisierung und Extremismus aus Politik und Zeitgeschichte*, 2013.
- Olivier Roy, *Le djihadisme est une révolte générationnelle et nihiliste*. Le Monde, 24 novembre 2015
- PleyersGordy., *L'endoctrinement affectif du citoyen*, Éditions de l'Université de Liège, 2013
- PietrasantaSébastien, *La déradicalisation, outil de lutte contre le terrorisme, Mission auprès du ministre de l'intérieur confiée par le Premier ministre*. La Documentation française, juin 2015
- Trevic Marc, *Terroristes. Les 7 piliers de la déraison*. J-C Lattès, 2013
- Young Holly, HolsappelJorien, Roozz Magda, De Wolf Arjan, Russell Jonathan, *Community approach to radicalization*, Usama Hasan Terra Toolkit, 2016

## المراجع العربية

- بن فرج (صلاح الدين)، مسارات تحديث الأسرة في تونس-التوجهات والأبعاد  
السلسلة الاجتماعية، تونس، فيفري 2009
- محجوب (عبد الوهاب)، بن فرج (صلاح الدين) وآخرون، العنف في المدرسة  
نشر المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة والمركز  
الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية، تونس 2011
- ايمان الكشباطي، (و آخرون)، الإرهاب في تونس من خلال الملفات القضائية  
منشورات المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس 2016
- الصغير (عميرة عليّة)، الإرهاب في تونس الآباء والأبناء، دراسة في أسانيد  
الإرهاب وواقعه، تونس 2016